الفصل التاسع

مظاهر التطور الاجتماعي : القومية

تعتبر القومية من أعظم انجازات التطور الاجتماعي ، تجاوز المجتمع بها حدود الروابط المحلية والاقليمية والدينية والطائفية ، وحطم بوساطتها القيود الفكرية التي باعدت بين الناس وجعلت منهم زمراً متنافرة تفرّق بينها عوامل التعصب . ومن ثم فان ما أنجزه التطور الاجتماعي لا يبدو في القومية بظاهرة الشمول فحسب ، وانما يبدو كذلك ، بظاهرة التمايز التي جعلت لكل قومية شخصية خاصة وحقاً بتقرير المصير وكياناً دولياً تقوم به العلاقات بينها وبين القوميات الأخرى على مبدأ المساواة .

والقومية ظاهرة اجتماعية لمجموع ذي تكوين تاريخي وسياسي واقتصادي يقوم على أساس وحدة اللغة ورابطة الوطن ويتميز عن غيره

بخصائص ذاتية تجعل له طابعاً ثقافياً خاصاً .

ويؤكد فريق من الاجتماعيين الجانب السياسي فى التكوين القومي ، باعتبار أنه الأصل فى وجود القومية ، فيذهبون الى أن قومية كل فرد انما تتعين بالمواطنة أي بتبعيته لدولة معينة[1] . ويترتب على هذا الرأي اتجاهان متناقضان : الأول هو ارتباط القومية بالدولة بحيث يثبت وجود القومية بوجود الدولة ، فتقوم الدولة السوسرية قومية سوسرية ، والدولة الأميركية قومية أميركية ، والدولة الايرانية قومية ايرانية ، والدولة التركية قومية تركية وهكذا ، من غير أن يؤخذ بنظر الاعتبار ما يدخل فى حدود كل من هذه الدول من عناصر مختلفة فى اللغة وفى التكوين التاريخي وفى الخصائص الذاتية التى تميز بعضها عن بعض ؛ فسوسرة التى تجمع فى حدودها الفرنسيين والألمان والايطاليين تؤلف قومية واحدة على أساس المواطنة ، وكذلك ايران التى تضم فى حدودها أقليات كبيرة من الأكراد والأتراك والعرب ، أو تركية التى تجمع فى حدودها الأكراد والأرمن والعرب وغيرهم . ويقول « مكايفر » ان ثبوت كون القومية لا تقوم على أساس العنصرية أو وحدة الجنس ، ينفي أي أساس آخر للتمييز بين قومية وأخرى غير أساس المواطنة ؛ فقد تقوم القومية الواحدة بلغات متعددة ، كما فى سوسرة التى يتكلم أهلها الفرنسية والألمانية والايطالية ؛

(١) Maclver ، ص ١٠٥

وقد تقوم قوميات متعددة بلغة واحدة ، مثل القوميات الانكليزية والأميركية والأسترالية والكندية وهي جميعها تتخذ الانكليزية لغة قومية لها ، أو مثل اسبانية ودول أميركة الجنوبية التى تتخذ جميعها اللغة الاسبانية لغة قومية لها • وما يصح بخصوص اللغة ، يصح كذلك بخصوص الثقافة والمميزات الذاتية التى تميز بين قومية وأخرى ؛ فقد ثبت أن المجتمع الأميركي مثلا ، استطاع فى مدة وجيزة أن يخلق من شتات المهاجرين مجموعاً ذا ميزات خاصة ، بينما تقوم فى أوربة قوميات متعددة بثقافة واحدة •

أما الأمر الثاني الذى ترتب على هذا الرأي ، فهو تأكيد الضرورة لتحقيق الكيان السياسي باعتباره شرطاً أساسياً لوجود القومية ،بعد أن تتوافر لها الشروط الأخرى مثل وحدة التاريخ ووحدة الاقتصاد ووحدة اللغة ورابطة الوطن والخصائص الذاتية التى يتميز به المجموع عن غيره ، بحيث تلجأ هذه القومية الى القيام بحركة قومية تهدف الى اتمام تكوينها بتحقيق دولة قومية تتدبر شؤونها الخاصة • وقد أتخذ النزاع لتحقيق الكيان السياسي للقومية أحدى ثلاث حالات : فى الحالة الأولى قامت الدولة التى تضم عناصر مختلفة بمناهضة الحركات القومية فيها ومغالبتها باللجوء الى مختلف أساليب الارهاب والترغيب والدعاية بقصد هضم هذه العناصر واخضاعها لحكم القومية الغالبة المتمثلة بالدولة ، وقد كانت هذه وما تزال ، سياسة الدول التى يقوم الحكم فيها

على أساس الاستبداد والدكتاتورية • والحالة الثانية : قيام الحركات القومية بتمزيق وحدة الدولة وتحرير القوميات المختلفة بانشاء دولة مستقلة ذات سيادة لكل قومية ، وقد غلبت هذه الحالة فى أوربة فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد أن تعزز مقام الديمقراطية فيها • واما الحالة الثالثة فهي الحالة التى يسوى فيها الخلاف بين القوميات فى داخل الدولة بانشاء حكم ذاتي لكل منها أو بتكوين دولة ائتلافية أو اتحادية من مجموع القوميات فيها ، وقد أصبحت هذه الطريقة هي المفضلة فى الوقت الحاضر •

ويؤكد فريق آخر من الاجتماعيين ، العناصر غير السياسية مثل وحدة اللغة ووحدة التاريخ ومقومات الثقافة الخاصة ، باعتبارها الأصل فى وجود القومية ؛ فتتعين القومية على هذا الأساس ، بالانتماء لأمة معينة من غير اعتبار للكيان السياسي أو للحدود الدولية ؛ فالقومية العربية أو التركية أو الكردية مثلا ، تقوم بالعرب والأتراك والأكراد حيثما كانوا وسواء اجتمعوا فى كيان سياسي خاص أو تفرقوا فى دول شتى ، وتكون سوسرة مثلا مؤلفة من قوميات ثلاث هي الفرنسية والايطالية والألمانية ، كما تكون الولايات المتحدة الأميركية مؤلفة من شتات القوميات التى ينتمى لها المهاجرون اليها • ويكون مآل هذا الرأي فى الواقع احدى الحالات الآتية : أولا ، الاعتراف بالقومية حتى اذا لم يتحقق لها كيان سياسي بقيام دولة قومية خاصة بها ،

ويترتب على هذا أن يكون لكل قومية حق بتقرير مصيرها وانشاء كيان سياسي خاص يتدبر شؤونها ؛ وثانياً ، أن يكون هدف كل دولة قومية أن تجمع فى حدودها جميع الأفراد الذين ينتمون الى القومية التى تمثلها ؛ وثالثاً ، أن لا تقبل الدولة القومية فى حدودها عناصر قوميات غريبة عنها ؛ وأخيراً ، يترتب على أفراد القومية الواحدة أن يلتزموا الولاء لقوميتهم وأن يعملوا على جمع شملها وتحقيق كيانها السياسي وان تفرقوا فى دول عديدة وارتبط كل منهم برابطة المواطنة بالدولة التى يقيم فى حدودها . والدولة القومية عند أهل هذا الرأي ، تعتبر رمزاً للأمة وجهازاً فعالا يعمل على اظهار خصائصها وتربية ميزاتها الذاتية وتحقيق أمانيها وأداء رسالتها التاريخية .

ويكاد يكون من الأمور المفروغ منها فى الوقت الحاضر ، أن القومية لا تقوم برابطة وحدة الجنس أو بالرابطة القبلية ، فليس هنالك قومية واحدة تقوم باحدى هاتين الرابطتين ، وانما كل قومية فى الوجود الآن ، تتألف من مجموع من العناصر والقبائل ، مهما بولغ فى الزعم بنقاوة عنصرها ، كما اتضح لنا فى بحث نظرية الجنس .

وعلى هذا ، رجح أن تكون القومية نتيجة لتكوين تاريخي خاص ، وان اعترف أن هذا التكوين التاريخي لا يمكن أن ينشأ بمفرده قومية خاصة ، فقد أوجدت الامبراطوريات القديمة مجتمعات ذات تكوين تاريخي خاص الا انها لم تقوم مجتمعات قومية وانما قامت

بمجموع غير مستقر من القبائل والشعوب تجمعه وتفرقه عوامل الغلبة والفتـــوح .

ولهذا كان من مستلزمات التكوين التاريخي أن يرافقه استقرار في موطن معين وارتباط ثابت بارض معينة . على ان القومية لا تتحقق بهذين الشرطين فحسب ، فقد أوجدت الدولة العثمانية مثلا ، تكويناً تاريخياً استقر بضع مئات من السنين ولكنه لم يكوّن قومية عثمانية ؛ ولهـــذا كان من الضـروري أن يرافق التكـوين التاريخي المسـتقر عامل آخر هو عامل وحدة اللغة . واذا كان في المستطاع أن يقوم كيان تاريخي لدولة معينة ويستقر بضع مئات من السنين ، فان من المستبعد أن يتحول هذا الكيان المستقر الى قومية خاصة اذا لم تتوفر له وحدة اللغة . ومن الجائزأن تقوم دولة بلغات متعددة ، أو أن يكون لعدد من القوميات لغة واحدة ، ولكن لا يمكن أن تقوم قومية واحدة بلغات متعددة .

ووحدة اللغة لا تقوّم القومية حتى اذ رافقها التكوين التاريخي ، اذا لم يكن التكوين التاريخي المدعوم بوحدة اللغة مصحوباً برابطة التوطن في أرض معينة تنشأ فيها بين الأجيال المتعاقبة علاقات متصلة برابطة الوطن . وبهذا الاعتبار يؤول تبدل الموطن الى اختلال القومية ، بالرغم من رابطـة التكـوين التاريخي ووحـدة اللغـة ، كما حدث للمهاجرين الأوربيين من الانكليز وغيرهم بعد أن أستوطنوا القارة

الأميركية .

على ان هـذه الروابط لا تؤدى الى القوميـة ، اذا لم تدعمها الروابط الاقتصادية التى تجعل للقومية كياناً اقتصادياً قائماً بذاته على أساس توزيع العمل وتوفير الحاجات الضرورية للكيان الاجتماعي . وبهذا الاعتبار ، كان الاقطاع عائقاً لنشوء القومية فى أوربة لأنه حال دون تكون الاقتصاد القومي بان أنشأ وحدات اقتصادية مستقلة بعضها عن بعض مناهضـة للتكوين القـومي ، وأدى الى أن تقـوم المعارك والمنازعات الدموية بين أجزاء الأمة الواحدة .

وعلى هذا الأساس ، كان الاقتصاد القومي الذى يقوّم المصالح الاقتصادية بحسب مستلزمات التكوين الاقتصادي للكيان العام ، من ضرورات القومية ومن شروطها الأساسية .

وهذه العوامل كلها عندما تتوافر للأمة ، تؤول بالنتيجة الى تكوين الخصائص النفسـية والخلقيـة التى تقـوم بالعادات والتقاليـد والمعتقدات التى تسـود فى المجتمع وتؤلف الى جانب العوامل المادية الأخرى ، الكيـان الثقافي الذى يميز قوميـة عن أخـرى وهو من مستلزمات التكوين القومي ومن الشروط الأساسية فى قيام القومية . وهذا الكيان الثقافي وان كان غير ثابت لأنه يخضع لمبدأ التطور الدائم ، فانه فى مرحلة معينة يعين الخصائص التى تتميز بها كل قومية عن الأخرى . والكيان الثقافي مثل بقية العناصر التى تؤلف التكوين القومي ، لا يمكن

أن يكون بمفرده عاملا فى وجود القوميه ، لأن هذه العوامل التى نوهنا بها لا يشترط اجتماعها فحسب وانما يؤدى فقدان أي منها الى ضياع القومية .

وهنالك مسألتان تتعلقان بالخصائص القوميـة ، يجـدر الالتفات اليهما : الأولى ، هي صعوبة تعيين الخصائص التى تتميز بها قومية عن أخرى ، لأن هذه الخصائص تتأثر « بروح العصر » التى تغلب فى حياة المجتمعات اذا كانت هذه المجتمعات فى مرحلة تاريخية واحدة . والثانية ، هي أن هذه الخصائص التى تنسب الى قومية معينة كثيراً ما تكون فى الحقيقة ، خصائص الطبقة الحاكمة أو الطبقة الغالبة فى الحياة الاجتماعية . وقد كانت هذه الخصائص مدار كثير من البحث والنقاش : فقد اعتبرها البعض خصائص عنصرية ترجع الى الجنس وتبقى ثابتة ما دام الدم نقياً لم يفسـده الاختلاط ، كما رأينا فى بحث موضـوع الجنس ؛ وقال آخرون أن مرجعها البيئة والمؤثرات الجغرافية ، فرجحوا أن تكون ثابتة أيضاً بالنظر الى ثبوت عوامل البيئة والمؤثرات الجغرافية بالنسبة لقصر أمد المراحل التاريخية ، كما رأينا فى بحث موضوع البيئة ؛ على أن الرأي المرجح الآن ، هو الرأي الذى يرى ان هذه الخصائص متغيرة باعتبار أنها وليدة الثقافة ، وهي تتبدل بتبدل الأوضاع التاريخية وبتغير العادات والتقاليـد الاجتماعيـة المتأثرة بالعـوامل الاقتصـادية والسياسية والفكرية .

وقد رجح فريق من الاجتماعيين رابطة الوطن ، وقالوا أنها العنصر الأساسي فى تكوين القومية • وأغلب هؤلاء من الفرنسيين الذين اعتبروا حب « الوطن » (La patrie) وما يثير فى النفوس من روح « الوطنية » (Patroitism) بسبب تعلق الانسان بأرض مولده ومنشأه وبمثوى أجداده ومثار ذكرياته ، هو مدار جميع العوامل الأخرى التى تؤدى الى تحقيق القومية • ولا يرى هؤلاء فى حب الوطن ظاهرة اجتماعية فحسب وانما يرون فيه مبدءاً أخلاقياً يتقدم جميع المبادىء الأخلاقية الأخرى • ولقد كان حب الوطن فى الواقع ، عاملا بعيد الأثر فى نشوء القومية وتطورها ، ولكنه كان كذلك عاملا فعالا فى قيام الاقليمية التى تصبح خطراً يتهدد القومية فى الدول الكبرى على الخصوص عندما تتحول الى حركة انفصالية • وتعتبر مناطق الحدود أكثر جهات الوطن حساسية حتى تتخذ مناعتها رمزاً لسلامة الوطن ، فتشيع فيها روح العسكرية وتبلغ فيها الاحساسات الوطنية أقصى حدتها ؛ ولكنها قد تكون كذلك ، نقاط ضعف فى الاحساس الوطنى ، اذا كان سكانها خليطاً من القوميات المتجاورة أو تيسر أمتزاجهم بعضهم ببعض وغلبت فيهم مصالح المبادلة وسائر المصالح الاقتصادية المشتركة وسهل عليهم اجتياز الحدود من جهة الى أخرى •

ورجح فريق آخر ، وحدة اللغة واعتبرها أعظم عناصر القومية أهمية وأبعدها أثراً ، فهي الأساس الذى تقوم به جميع

الظواهر الفكرية والنفسية التى تتميز بها شخصية كل قومية عن القوميات الأخرى ، والوسيلة الوحيدة التى يخلد بها تراث القومية وذكرياتها ، وفى مبانيها ومعانيها وأوزانها تجد القومية الحارس الأمين لمشاعرها وعواطفها وأمانيها وآدابها وعلومها وتقاليدها ، وقد تتعين بها حدودها أيضاً • ولقد كانت اللغة وما تزال ، فى رأي هذا الفريق ، آخر حصون القومية وأعظمها مناعة ، اذا فقدتها القومية فقدت وجودها الى الأبد • وبهذا الاعتبار ترتب على الحكومات القومية أن تجعلها موضع رعايتها وعنايتها ، واهتمت بها الحركات القومية اهتماماً كبيراً • وبهذا الاعتبار أيضاً كان احياء اللغة فى كثير من الأحوال بداية الحركة القومية وعنصرها الأول •

والعوامل التى تولد الشعور القومي ، اما أن تكون عوامل خارجية مثل النزعة الى الانفراد عن القوميات الأخرى والتمايز عنها أو مضاهاتها ، واما أن تكون عوامل داخلية منبعثة عن الصراع بين دواعي القومية من جهة والروابط الاجتماعية الأخرى المناهضة لها من جهة أخرى مثل الشعور الديني والطائفي والطبقي والروابط الاقليمية وغيرها من العلاقات الجماعية التى تقسم المجتمع الى ملل وجماعات • ويشتد الشعور القومي بدواعي السلامة القومية ضد الأخطار الخارجية وضد عوامل التفكك ، ويبلغ أقصى درجاته فى المحن السياسية والاقتصادية •

وقد وجهت الدول الحديثة عنايتها لتنمية هذا الشعور بالدعاية القومية في المدارس وبوساطة المنظمات الخاصة بالصبية والفتيان والفتيات والشباب ؛ وأتخذت هذه الدعاية منذ عام ١٨٧٠ طابعاً عسكرياً ، فاستعان الفرنسيون بلعب الاطفال لغرس الروح العسكرية في نفوس الأطفال والصبية ، واعتمد الفاشيون والنازيون لغرس هذه الروح على منظمات خاصة قامت تحت اشراف الجيش ومن أهمها منظمات الفتوة . وأصبحت مؤسسات التربية والتعليم من أهم مراكز بث الشعور القومي وتنميته منذ الثورة الفرنسية التي انتزعت هذه المؤسسات من الكنيسة وجعلتها خاضعة للدولة . وكانت الصحافة منذ الثورة الفرنسية أيضاً ، من أقوى دعائم الدعاية القومية بعد أن تحولت من منشورات خاصة محدودة العدد الى منشورات جماهيرية واسعة الانتشار . وحملت الأحزاب السياسية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لواء الدعاوات القومية أيضاً ، وان اختلفت هذه الدعاوات باختلاف اتجاهات الأحزاب . وقام بالدعاية القومية الى جانب ذلك كله ، عدد كبير من النوادي والجمعيات العلنية والسرية والمكتبات والمنظمات التعاونية والمؤتمرات والمباريات الدولية . وكانت من أهم مواد هذه الدعايات : الأمجاد القومية والتراث القومي والأساطير القومية والآداب القومية وأخيراً رسالة القومية الى الانسانية .

★ ★ ★

ولقد كانت رابطة الجماعة أو القبيلة هي الغالبة فى المجتمعات البدائية ، وتميزت كل قبيلة وجماعة فيها باختلاف « اللسان » وطراز المعيشة والمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد الخاصة . ولكن ارتقاء المجتمعات أدى الى تعدد الروابط الاجتماعية من جهة ، والى اتساع حدود الاجتماع من جهة أخرى ؛ فتفرق الناس فرقاً شتى : انقسموا بالنسبة الى العمل ، الى كهنة وموظفين وجنود وتجار ومهنيين وفلاحين ؛ وبالنسبة الى الثروة ، الى أغنياء وفقراء ؛ وبالنسبة الى المنزلة الاجتماعية ، الى أشراف وأحرار وعبيد . وزالت رابطة القبيلة بشمول المجتمع عدداً عظيما من الأفراد من شتى القبائل ، وحلت فى محلها رابطة المدينة التى قامت بها المجتمعات السومرية والأكدية والفينيقية والاغريقية مثلا ، ورابطة الدولة التى قامت بها دولة المصريين والبابليين والآشوريين والرومان .

ان تاريخ الاجتماع فى خلال ستة وسبعين قرناً ـ أي منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد حتى مطلع القرن السابع عشر بعد الميلاد ـ يشير الى ذبول معالم القبلية بتأثير عوامل اقتصادية وسياسية وثقافية ، ساقت الناس الى الاجتماع فى حدود غير حدود القبيلة . ولقد كان من أهم هذه العوامل وأبعدها أثراً : انتشار تأهيل الحيوانات والنباتات ، واستعمال النحاس والقصدير والحديد فى صنع الأدوات ، واتخاذ الحيوانات الأهلية والقوارب وسائط للنقل البري والمائي ، مما أدى الى

اتساع المجتمعات وخروجها من الحدود القبلية وارتباط حياتها الاقتصادية بعضها ببعض . وكان من جراء ذلك أيضا أن قامت عوامل الغلبة والفتوح فأدت بدورها الى توحيد القبائل واندماجها فى أمبراطوريات مترامية الأطراف ، مثل أمبراطوريات البابليين والآشوريين والكلدانيين فى الهلال الخصيب ،وأمبراطورية المصريين فى وادى النيل ، والامبراطوريات المغولية فى الصين والهند ، والامبراطوريات العالمية مثل امبراطورية الفرس وامبراطورية الاسكندر وامبراطورية روما وامبراطورية العرب التى امتدت حدودها من الصين فى أقصى الشرق الى المحيط الأطلسى وجبال البرنة فى أقصى الغرب . وكان ظهور الأديان العالمية مثل المسيحية والاسلام ، وكذلك انتشار البوذية فى الشرق الأقصى وفى جنوب آسية ، عاملا ثالثاً عظيم الأثر فى اذابة الروابط القبلية وتوسيع حدود الاجتماع . وأخيراً ظهور اللغات : السنسكريتية واليونانية واللاتينية والصينية والعربية ، وتغلبها على ألسنة القبائل واللهجات المحلية . وقد أدت هذه العوامل منفردة ومجتمعة الى أن تحل رابطة « العالمية » (Cosmopolitan) والاقليمية فى محل الروابط القبلية ؛ فكانت « العالمية » الرابطة المرجحة بين الطبقات الحاكمة التى أتخذت منها وسيلة لتوسيع نفوذها وسلطانها ، فى حين رجحت « الاقليمية » بين سواد الناس الذين بقي شعورهم الجماعي محصوراً فى حدود المقاطعة

أو القرية أو المدينة .

وهذا الاتساع فى حدود المجتمعات ، وان عده بعض المفكرين مظهراً من مظاهر الانحلال والتورم[٢] ، لما انطوى عليه من التناقض بين مقومات الحياة الاجتماعية باعتبار أنه كان تمدداً من غير عمق ، تسنده القوة الغاشمة ويغمره الجهل الشامل ويقوم على تفاوت فى تراكيب المجتمع ليس فيه وجهاً للتلائم أو سبيلا الى الانسجام ، وتشوهت به حياة الانسان بما كابد من أهواء الاستبداد ومساوىء الرق والعبودية ؛ فانه كان بلا ريب ، خطوة تطورية كبرى بما هيأ من أسباب توسع الادراك ونشوء اللغات وتشعب سبل العمل ووجوه الحياة .

وكانت رابطة الدين فى الاطوار الأولى لهذا التحول مندمجة برابطة المدينة ، فكان لكل مدينة من مدن السومريين والأكديين مثلا ، آله خاص ؛ فلما قامت الدول ، أصبح لكل دولة آلهة عامة تتميز بها . ولما آلت هذه الدول الى امبراطوريات عالمية جمعت شتى الأقوام والشعوب ، تمهد للانسان السبيل الى ادراك وحدانية الله ووحدة البشر ؛ حتى تهيأت الأسباب فى الفترة التى أشرفت فيها حضارة القرون الأولى على الانهيار بما افتقرت اليه من أسباب الانسجام ، الى ظهور الاديان العالمية ، تحمل لواء الدعوة الى الاخاء الانسانى ، والى مكافحة الرق والعبودية ، والى تخفيف الفوارق الاقتصادية ، وتحث

(٢) Toynbee ، ص ١٥٣

الناس على طلب المعرفة والتمسك بمكارم الأخلاق . على أن الانسان لم يوفق الى تحقيق ما كانت تريده له هذه الأديان العالمية ، فقد عاقه الجهل الشامل وعوامل الحياة المادية عن ادراك مراميها السامية ، فاضطربت مساعيه بحكم ضرورات الحياة التى فرضها عليه الواقع . فلم يمض على ظهور هذه الأديان غير وقت يسير حتى انحرفت كثير من مبادئها اذ استحالت الى أغلال عاقت ارتقاء العقل ويسرت لذوى الأطماع أن يتخذوا منها ستارا لمطامعهم فى المال وفى السلطان . فانقلب الجهاد فى سبيل الاسلام مثلا ، الى نزاع على سلطة الحكم المطلق التى تقمصتها الخلافة ، وآل نشر الدين الى بسط سلطة الحكام ، ومبدأ الآخاء الانسانى الذى جاء به الاسلام الى تسخير الشعوب باثارة العداوة بينها لخدمة مطامع المتنازعين على السلطة . وقامت الكنيسة فى أوربة ، ففعلت فى المسيحية مثل ما فعل النزاع على الخلافة فى الاسلام ، واتخذت من مبادىء الدين وسائل لجمع المال وتخدير الناس بالوعود البراقة واشغالهم بالطقوس الجوفاء ، واستخدمت الدين لبسط نفوذها ودعم سلطان الاقطاع . وهذه الأديان العالمية ، وان سوت بعض التناقض فى كثير من العلاقات الاجتماعية ، باستنكارها الرق والعبودية ودعوة الناس الى ازالة مساوئها والى تخفيف أثر الفوارق الاقتصادية ، الا انها قومت فى مؤسساتها متناقضات أخرى ، بالتفريق بين الناس فى المعتقدات ، فأحلت العداوة بين الذين يختلفون فى الدين وفى المذهب

محل العداوة بين القبائل والشعوب وبذلك أوجدت الضرورة الى رابطة أخرى غير رابطة العالمية لتسوية هذه المتناقضات الجديدة فى الحياة الاجتماعية .

وقد نوهنا فى بحث التطور الاجتماعي(٣) بما يراه فريق من الاجتماعيين ، من ان للارتقاء وجهتين : الأولى تنزع الى الاتساع والشمول ، والأخرى تنزع الى تحقيق تفاوت الاجزاء وتمايزها . وفى ضوء هذا التفسير تبدو الضرورة الى ظهور القومية لتتم ما حققته التطورات التى نزعت الى الشمول الذى تجلى فى الأديان العالمية والامبراطوريات العالمية ، بما تفرضه من مستلزمات التمايز فى حدود هذا الشمول . وفى ضوئه أيضاً ، يبدو أن أحداث القرون الأولى فى تاريخ الانسان ساعدت على ازالة حدود الجماعات القبلية لتحقيق امتزاج الشعوب فى امبراطوريات عالمية قائمة على الرق والعبودية ، وأن القرون الوسطى أنجزت بوساطة الأديان العالمية صهر الفوارق القبلية والاجتماعية فى رابطة الأديان العالمية ، وبذلك كله تمهد السبيل فى القرون الحديثة الى ظهور القومية وغايتها تحقيق التفاوت والتمايز بين المجتمعات على أساس وحدة التاريخ ووحدة التكوين السياسي والاقتصادي ووحدة اللغة ورابطة الوطن .

وقد أقترن ظهور القومية بالتبدلات الاقتصادية وما رافقها من

(٣) راجع ص ٢٦٠ من هذا الكتاب .

التبدلات السياسية والفكرية والاجتماعية بوجه عام ، التى حدثت فى أوربة وعلى الخصوص منذ مطلع القرن السابع عشر ، وكان من شأنها أن ترجح جانب القومية على العالمية والاقليمية . وأهم هذه العوامل : قيام الثورة الصناعية التى أدت الى ظهور الطبقة الوسطى ونشوء الرأسمالية ، واختراع الطباعة وانتشارها ، وقيام اللغات الوطنية ، وتغلب ملوك الحكم المطلق على الاقطاع ومناهضتهم سلطان البابوية العالمية وانشائهم الكنائس الوطنية ، واتساع مجال التجارة واشتداد المنافسة فيها بين الممالك بعد اكتشاف البخار وامتداد حركة الاستكشافات الجغرافية ، وقيام الحركة الرومانتيكية التى نمّت الوعي الوطنى والشعور القومي ، وأخيراً قيام الديمقراطية وانتشار مبادئها .

وقد ظهرت الحركة القومية أول الأمر ، فى أوربة الغربية حيث هبت المدن بزعامة الطبقة الوسطى الى تأييد الملوك فى نزاعهم مع أمراء الاقطاع ورجال الكنيسة لبسط سلطانهم المطلق فى الداخل ولتعزيز مقام الدولة فى الخارج . وكانت الطبقة الوسطى تهدف من وراء تأييدها الملوك وتعزيز مقام القومية الى تقويم « الاقتصاد الوطني » الذى تطلّب رفع الحواجز التى قامت عند حدود كل اقطاعية فأعاقت حرية نقل المنتوجات وأثقلت كاهلها بالرسوم والمكوس الكمركية وعرضتها الى الضياع من جراء اختلال الأمن الداخلي وافتقار البلاد الى حكومة مركزية تؤمن حرية التجارة وسلامتها وتيسر أسباب

المواصلات ؛ والى أن يتوافر للدولة فى الخارج نفوذ وسطوة يساعدان التجارة الوطنية على النمو والاتساع ويحميان التجار وأصحاب المصالح فى الممالك الأجنبية وفى الأقطار النائية .

ووفقت انكلترة قبل غيرها من بلدان أوربة الغربية ، فى احراز قصب السبق فى مضمار اليقظة القوميـة لعوامل جغرافيـة وتاريخية خاصة ، فتعزز فيها مقام القومية منذ مطلع القرن الثامن عشر ، وفاضت أفكار الطبقتين العليا والوسطى بروح هذه القومية التى ظهرت جلية فى معالم النهظة الأدبية وفى منظمات الدولة وفى مقدمتها البرلمان ، وشاعت بين سواد الجمهور . وتأخرت بوادر هذه اليقظة عن الظهور فى فرنسة وفى بقية بلدان أوربة الغربية بسبب طغيان روح الطبقية من جهة ، وتحكم الاقليمية فيها من جهة أخرى ؛ بحيث انشغل الملوك والنبلاء فيها بتثبيت نفوذهم وبمقاومة الحركات الجماهيرية وغلبت فيهم روح العالمية حتى اتخذوا من اللغة الفرنسية لغة خاصة وأهملوا العناية بتشجيع اللغات الوطنية والآداب الوطنية ونشر التعليم واستعاضوا بالجيوش المأجورة عن انشاء الجيش الوطني . وبدت عوامل الضعف هذه على أشدها فى ألمانية التى كانت ممزقة فيما يقرب من ثلثمائة امـارة ومنشـقة على نفسـها بين « آل هبسبرك » من جهـة و « آل هوهنزلورن » من جهة أخرى . فانحصرت فيها حركة القومية بعدد محدود من المثقفين الرمانتيكيين الذين دعوا الى العناية باللغة الوطنية

والأدب الجماهيرى ورعاية العادات والتقاليد القومية ، وأيدهم صورة غير مباشرة ، فريق من رجال الدين من أتباع « لوثر » بما بذلوه من المساعي لنشر التعليم الأولي ووضع التعاليم الدينية باللغة القومية وبتعزيزهم مقام الجمهور بقولهم بسلامة طويته وطيبة نفسه . وهكذا قامت فى المانية قومية غير سياسية عنيت باللغة والآداب وبالثقافة القومية .

وكان من نتائج ذلك ، أن ظهرت الحركة القومية فى القسم الغربي من القارة الأوربية فى اتجاهين يختلفان عن الاتجاه الذى ظهرت به فى انكلترة : الأول هو هذا الذى أشرنا اليه بخصوص المانية ؛ اما الاتجاه الثانى فهو اتجاه الحركة القومية الثورية فى فرنسة ، حيث اندمجت القومية فيها بروح الثورة الفرنسية التى هدفت الى تعزيز مقام الشعب والقضاء على نفوذ الاقطاع الذى تمثل بالملك وبالنبلاء ورجال الدين ، وصهرت الاقليمية فى وطنية جمهورية مشبعة بروح الرومانتيكية التى صور بها الكتاب ـ وخصوصاً جان جاك روسو ـ نعم المجتمع الذى يقوم على أسس الحرية والأخوة والمساواة عندما يؤول الحكم فيه الى الجماهير التى تأصلت فيها هذه المبادىء . ووجدت دعاوات الثورة مجال الانتشار فى صفوف الطبقة الوسطى فى الدرجة الأولى ومن ثم تسربت الى صفوف الفلاحين وأرباب المهن الصغيرة ونفر من أبناء النبلاء المغمورين أو المضطهدين الذين تغلبت فيهم نزعتهم الثقافية على الطبقية ، فلما آل الامر اليها استطاعت ان تحقق فتحاً عظيماً فى مضمار القومية ،

فقد أنشأت الدولة على أساس القومية ، وألغت الامتيازات الطبقية والاقليمية ، وأخضعت الكنيسة للسلطة الزمنية ، ووضعت جميع النظم والمنظمات السياسية والدينية على أسس قومية ، وأقرت حق تقرير المصير لكل قومية ، واتخذت المواطنة أساساً لعلاقة الأفراد بالدولة ، وجعلت الحكومة الوطنية المرجع الوحيد لكل مواطن ، وعززت روح الوطنية بطقوس وطنية وقالت بقدسية الذين يستشهدون فى سبيل الوطن ، وأوجدت العلم الوطني والنشيد الوطني والأعياد الوطنية ، وجعلت اللغة الفرنسية وهي اللغة القومية لغة رسمية فى جميع المعاملات المدنية والدينية وحاربت اللغة اللاتينية والألسنة المحلية على السواء ، ووضعت مشروع التعليم الأولى الاجبارى العام للبنين وللبنات تقوم به الدولة لغرس روح الوطنية وتعليم واجبات المواطنة بالاضافة الى تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، ووضعت كذلك مشروع التجنيد الاجبارى العام لجميع المواطنين من الرجال الأصحاء ، وخلقت الصحافة الجماهيرية والمؤسسات الوطنية التى تساعد فى اشاعة الوعي القومي وتعزيز مقام الوطنية . وفوق ذلك كله ، بلغ من قناعة الثوريين الفرنسيين بنعم هذه القومية الديمقراطية ، أنهم أرادوا تحقيقها لجميع الأمم واعتبروها رسالة الأمة الفرنسية الى الانسانية ، فقررت الجمعية الوطنية فى كانون الأول من عام ١٧٩٢ : ان كل شعب يرفض مبادىء الحرية والمساواة أو ينقضها بان يبدى رغبة فى بقاء الأمراء

والطبقات ذات الامتيازات فى الحكم أو يعمل على اعادتهم أو يساومهم فى شأن من هذه الشؤون ، تعتبره الأمة الفرنسية عدوها ؛ وهي تأخذ على نفسها بأن لا تكون طرفاً فى معاهدة وأن لا تضع السلاح حتى تتحقق السيادة والاستقلال للأمة التى دخلت جيوش الجمهورية الفرنسية بلادها وحملتها على القبول بمبادىء المساواة وعلى انشاء حكومة حرة ديمقراطية .

وفى حين اندفع الفرنسيون بحماسة منقطعة النظير فى سبيل أداء رسالتهم الانسانية هذه ، كان الأوربيون فى انحاء القارة ينظرون الى هذه الرسالة نظرة استنكار وسوء ظن ، ويرون فيها بدعة شيطانية يراد بها الوصول الى مآرب أنانية . وقد غلبت على الانكليز روح الاعتزاز بقوميتهم الأرستقراطية المغمورة بالتقاليد ، وغلبت على الشعوب الأوربية الأخرى النزعات الاقليمية والمصالح الطبقية وروح الولاء الى الأمراء ، فانجروا الى مقاومة الثورة الفرنسية تأييداً للرجعية الاقطاعية ، ونشبت بين الفريقين حروب دامية أدت بالفرنسيين الى ترجيح الدكتاتورية العسكرية الظافرة على مبادىء الديمقراطية فطغى على قوميتهم روح الحماسة الوطنية والفخار القومي ، وأدت الى تحول القومية الثقافية التى قامت فى المانية وفى غيرها من بلدان القارة الأوربية الى قومية دفاعية ضد حملات نابليون التى رأوا فيها عدواناً على كيانهم الوطني . وهكذا تحولت حركة القومية الديمقراطية التى حملت الثورة الفرنسية لواءها

الى قومية وطنية ترمي الى تعزيز الكيان الوطني والكرامة الوطنية وحماية البلاد من العدوان الخارجي ، وغمرت أسبانية والبرتغال واسكندنافية وايطالية وبولندة واليونان والبلدان السلافية فى البلقان وامتدت الى القارة الأميركية ؛ وتولى الزعامة فيها ابناء الطبقة الوسطى يؤيدهم نفر من النبلاء ورجال الدين ، وانجر الى تأييدها « آل هبسبرك » و « آل هوهنزلورن » فى المانية تنافساً على كسب ولاء الطبقة الوسطى ، وشجعها قياصرة الروس فى بلاد البلقان لاثارة شعوب هذه البلدان ضد الدولة الثمانية .

بيد ان هذه القومية الوطنية ، وقد حملت الطبقة الوسطى لواءها ، لم تقو على تجاهل مصالح هذه الطبقة فى صراعها ضد ملوك الحكم المطلق فالتزمت جانب الحرية بحكم الضرورة ، وأصبحت بين عامي ١٨١٥ و ١٨٨٠ ، قومية وطنية تميل الى الحرية وتأخذ بمبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، فدعت الى اعادة النظر فى تكوين الممالك الأوربية على أساس جمع شمل القوميات الممزقة فى دول قومية وطنية ، وأدركت الضرورة الى تفكيك الامبراطوريات التى تجمع فى حدودها عدداً من القوميات المضطهدة ورأت فى وجودها نقضاً لمبادىء القومية والحرية على السواء .

واستطاعت هذه القومية الوطنية ذات النزعة الحرة أن تتم تحول الحكم الى الطبقة الوسطى فى الدول التى أتمت تكوينها القومي مثل

انكلترة وفرنسة ، وان توسع مدى مساهمة الشعب فى هذه الدول بادارة الشؤون العامة وتستميله الى تأييد الحركات القومية فى أوربة وأميركة على الخصوص ؛ وكذلك ان تشجع فى البلدان التى لم تنجز تكوينها القومي ، حركة احياء اللغات القومية والتقاليد القومية وان تذكي المشاعر القومية باحياء ذكرى الابطال وترويج الأغاني والآداب الشعبية وان تؤيد الدعوة الى الاتحاد والحرية .

وعلى الرغم من ادراك الطبقة الوسطى ، ان الحروب والمعارك لم تعد فى مصلحتها لأنها تعرقل سير التجارة وتثقل كاهل المشاريع الصناعية بالضرائب ، وان الأجدى لها الركون الى المنافسة الحرة بين الأفراد والأمم فى مضمار الكسب والانشاء ، فان هذه القومية الوطنية فشلت فى تجنب ما انجرت اليه الثورة الفرنسية بحكم الضرورة من اللجوء الى الحرب فى تحقيق أهدافها ، فأثارت صراعاً دموياً لا يقل ضراوة عما أثارته الثورة الفرنسية ، فقامت تحت لوائها : ثورة عام ١٨٢٠ فى اسبانية والبرتغال ، وثورة عام ١٨٣٠ فى فرنسة وبلجيكة وألمانية وايطالية ، وثورة عام ١٨٤٨ فى فرنسة وألمانية وايطالية سوسرة وبوهمية والمجر وارلندة ، وثورتا بولونية فى سنة ١٨٣١ و ١٨٦٣ ، وحرب القرم ، وحروب الوحدة الايطالية ، وحروب الوحدة الألمانية ، وحروب البلقان والحرب الأهلية فى الولايات المتحدة الأميركية .

وفى الوقت الذى بلغ فيه انتشار الحركة القومية أقصى حدوده ،

فغمر أوربة كلها وامتد الى أميركة وبقية أنحاء العالم ، بدت فيها منذ عام ١٨٨٠ معالم مرحلة جديدة أبعدتها بالتدريج عن طريق الحرية ، بتأثير التبدلات الاقتصادية التى بلغت منذ ذلك الحين مرحلة الرأسمالية الاستعمارية . فان الانتاج الرأسمالي الذى تحول الى انتاج آلي واسع النطاق غيّر من طبيعة الطبقة الوسطى من جهة وخلق من طبقة العمال قوة ذات شأن لا يمكن تجاهل خطرها ، ورقي وسائل المواصلات بحيث جعل العالم كله ميداناً لمنافسة اقتصادية متزايدة فى الشدة .

وكان ارتباط الحركة القومية بالثورة الصناعية من القوة بحيث لم تجد هذه الحركة مفراً من الخضوع لمؤثراتها ومقتضيات مصالحها . فقد بدأت فى الأصل فى احضان التطور الصناعي ؛ فنشأت فى انكلترة قبل غيرها لأن انكلترة كانت أسبق الأمم الأوربية فى مضمار التطور الصناعي ؛ وكانت الثورة الصناعية حيثما قامت ، المحفز الرئيسي والعون الأكبر لقيام الحركة القومية ؛ وكان نجاح الحركة القومية منوطاً دائما بمدى ما تصيبه الصناعة من التقدم . وذلك لأن من شأن التطور الصناعي أن يوفر أسباب الاختلاط والامتزاج والتعامل وتبادل المصالح فى حدود الدولة ؛ وحاجته الى الأيدى العاملة الرخيصة والى تصريف البضائع التى ينتجها ، تحمله على استثارة حمية العمال وسائر المواطنين ليتناسوا مصالحهم الذاتية فى سبيل انماء « الثروة القومية » وتأييد « الصناعة القومية » ، وتحمله كذلك على تشجيع اللغة القومية

واذكاء الروح الوطنية ؛ ليتسنى له تصريف المنتجات والبضائع فى السوق الوطنية بسعر أعلى من سعرها فى الأسواق الخارجية حيث تجابه مقاومة المصنوعات المحلية ويفرض عليها تغطية نفقات النقل والرسوم الكمركية .

ولما كان التقدم الصناعي قد تحقق بدرجات متفاوتة فى مختلف البلدان ، فان هذا التفاوت جابه القوميات المختلفة بخطر لم تجد سبيلا الى دفعه غير اثارة روح الحماسة القومية عن طريق اشاعة الكراهية ضد القوميات الأخرى ، وحماية صناعاتها القومية بمضاعفة الرسوم الكمركية ، وغلق أبواب الهجرة اليها . وهكذا طغت مقتضيات الانتاج الرأسمالي الواسع النطاق على القومية فحولتها الى قومية اقتصادية طبعت بسماتها جميع سبل الحياة العامة ومظاهرها : التشريع ، والتعليم والصحافة ، وكذلك التنظيم الاجتماعي والتقاليد والعادات والشعائر العامة ؛ حتى الفلسفة حولتها الى فلسفة « ذرائع » ، ووجهت الناس من تمجيد أبطال القومية والوطنية الى تمجيد العصاميين من ملوك الصناعة والمال مثل « فورد » و « روكفلر » وغيرهما ؛ وكيفت أذواقهم فى اللباس والطعام وطرائق العيش بظروف الانتاج ومقتضياته الآنية المتبدلة . وكان محتماً على هذه القومية الاقتصادية ، وقد تحكمت فيها ضرورات المنافسة الاقتصادية المتفاقمة فى شدتها ، أن تتحول الى قومية استعمارية مدججة بالسلاح ، وان يطغى عليها التعصب « العنصري »

وما يلازمه بحكم الضرورة من احتقار للعناصر الأخرى واضطهادها ، وان تجر العالم الى أتون الحرب العامة الأولى التى لم يكن العالم قد شهد لها مثيلا من قبل . ومع ان هذه الحرب أدت الى تمزيق الامبراطوريات التى تحكمت فى أوربة بعدد من القوميات ، وأنشأت دولا قومية على شاكلة الدول القومية الأخرى مثل فنلندة واستونية ولثوانية وبولندة وجيكوسلوفاكية ويوغسلافية ورومانية واليونان ، الا انها لم تغير شيئاً من طبيعة القومية الاقتصادية التى كانت سبباً فى نشوبها ، وانما على العكس ، أدت الى اشتداد نزعة العدوان كما بدت فى الفاشية والنازية اللتين أوصلتا الغلو العنصري الى أقصى حدوده ، وجعلتا الحرب العالمية الثانية أمراً لا مفر من وقوعه .

وجابهت القومية الاقتصادية معارضة متزايدة من الحركة الاشتراكية فى أوربة ومن حركات التحرر القومي فى آسية وأفريقية . فقد عارضتها الاشتراكية متأثرة بالماركسية التى قررت أن القومية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً فى كل مجتمع بمصلحة الطبقة التى تسيطر على وسائل الانتاج وتتحكم بوساطة هذه السيطرة فى شؤون المجتمع كله . وعلى هذا الأساس تكون الطبقة الوسطى وهي تحمل راية التقدم فى خلال النهضة الصناعية قد التزمت جانب القومية لتكون عوناً لها فى مقاومة الاقطاع والحكم المطلق ولتثبيت دعائم الديمقراطية حسب مقتضيات مصالحها الآنية ؛ ولكنها

بعد أن بلغت مرحلة الانتاج الرأسمالي الواسع النطاق ، انقلبت الى طبقة استعمارية تعمل على تجريد القومية من عناصر الحرية والديمقراطية ومن أهدافها الانسانية واتجاهها الانشائي الذى أساسه الاعتراف بحق الأمم فى تقرير مصيرها والتعاون بين أمم حرة لتحقيق مصالحها المشتركة . وهكذا تحولت القومية فى مرحلة الانتاج الرأسمالي الواسع النطاق الى عنصرية لا قومية تقوم باشاعة روح البغضاء بين الأمم ، وباثارة روح الغرور العنصري والازدراء بالشعوب ، وتسعى الى السيطرة على العالم بمنافسة مدججة بالسلاح جرت العالم الى حروب استعمارية مدمرة . وقد ناوأت الحركة الاشتراكية هذه القومية الاقتصادية باعتبارها عنصرية لا قومية ولا تقدمية تعارض الحرية وتلجأ الى الحروب المدمرة لتحقيق أغراضها الاستعمارية ، ورأت فيها خطراً يتهدد مصالح الطبقة العاملة وحرية الشعوب ، أعظم من الخطر الذى تعرضت له الطبقة الوسطى من الاقليمية والاقطاع وامبراطوريات الحكم المطلق . ونادت هذه الحركة الاشتراكية بلزوم العمل على تحقيق قومية اشتراكية « أممية » تقتلع جذور الاستعمار وتحرر الشعوب وتنشىء العلاقات بين قوميات حرة على قاعدة المساواة لتحقيق مصالحها المشتركة .

أما الحركة القومية فى آسية وشمالي أفريقية ، فقد نشأت فى الأصل متأثرة بمبادىء الثورة الفرنسية منذ مطلع القرن التاسع عشر .

وباستثناء اليابان التى تيسر لها أن تنشىء نهضة صناعيـة على النمط الغربي ، قبـل أن تبلغ الحكومـة القوميـة فى الغرب مرحلة الانتاج الرأسمالي الواسع النطاق ، وأن تقوّم على أساس هذه النهضة الصناعية حركة قومية تعقبت فى نشوئها وتطورها خطى القومية الغربية وانتهت الى ما انتهت اليه ؛ فان شعوب الشرق وهي تواجه الاستعمار الغربي الذى غلبها على أمرها وسد بوجهها أبواب التطور الصناعي ، لم تجد سبيلا الى هذا التطور الذى هو من مستلزمات الكيان القومي ، وبالتالى لم تجد سبيلا الى تحقيق أهـداف القومية غـير سـبيل الخلاص من الاستعمار ، فاتجهت فى حركتها القومية وجهة تحررية هدفها الأول النضال ضد الاستعمار • وتأثرت حركة التحرر القومي هـذه ، فى الشرق الأقصى ، منذ أوخر القـرن التاسع عشـر ومطلع القـرن العشرين ، بالقومية الأميركية التى كانت لا تزال تغلب فيها النزعة الى الحرية لأنها لم تكن قد بلغت بعـد مرحلـة الانتاج الرأسـمالي الواسع النطاق • ولاقت هذه الحركة فى الهند ، تأييداً من لدن رجال الصناعة الهنود الذين رأوا فى منافسة المصنوعات الغربية خطراً يتهدد مصالحهم فعضدوها فى نضالها ضد الاسـتعمار • واتجهت فى تركيـة وايران وفى الشرق العربي ، الى تعقب خطوات الحركة القومية فى الغرب دون جدوى ، لأنهـا كانت تفتقـر الى أهم مقومات الحركـة القومية وهي النهضة الصناعية •

وحدث فى أثناء الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها أمران كان لهما أبعد الأثر فى توجيه حركة التحرر القومي فى الشرق : الأول تحول أميركة الى مرحلة الانتاج الرأسمالي الواسع النطاق الذى حولها بالتدريج الى دولة استعمارية مناهضة لحركة التحرر القومي ؛ والثاني ، قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فى امبراطورية روسية القيصرية واعلان تأييده لحركة التحرر القومي فى الشرق وتزايد أثره من جراء هذا التأييد فى توجيه هذه الحركة ، وخصوصاً فى أقطار الشرق الأقصى . وجاءت الحرب العالمية الثانية فزادت فى قوة العوامل المناهضة والمؤيدة لحركة التحرر القومي ، وأعقبها تقدم الهند وأندنوسية فى سبيل التحرر وقيام الصين الشعبية ؛ مما أدى الى ابراز حركة التحرر القومي فى حركة شعبية تهدف الى التحرر السياسي والاقتصادي على السواء ، وتشغل فيها جماهير الشعب المقام الذى شغلته الطبقة الوسطى فى الحركة القومية فى الغرب .

فهرست الأسماء

أبقراط ١٦١ ١٦٣
ابن خلدون ٩٢ ٩٩ ١٠١ ١٦٤
ابن سعيد المغربى ١٥٣
أديمنتس ١٩٥
الاسكندر ٢١
أرسطو ٢٧ ٣٢ ٥٧ ٧٣ ٧٤ ٩٠ ٩٢ ٩٩ ١٣٠ ١٦٣ ٢٣٨ ٢٨٠
أفلاطون ٢٧ ٥٧ ٧٣ ـ ٧٤ ٨١ ٩٠ ٩٢ ١٩٥ ـ ١٩٦ ٢٣٨ ٢٦٩ ٢٨٠
ألس ـ هافليوك ١٥٤
ألن ـ كرانت ١٧٢
أمون ـ أتون ٢٣٣
أناكسيمينيس ٢٣٧
أناكسيمندر ٢٣٧
أنكلز (أنجلس) ٧٦ ٢١٨ـ٢١٩ ٢٢٢ـ٢٢٣ ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ٢٥١ ٢٧٠
أورليوس ـ ماركوس ٢٨١
أوون ـ روبرت ٢١٢ ٢١٧
باكونين ٢١٨
بتهوفن ١٥٤
بريفو ١١٣
بروتاكوراس ١٩
برودون ٢١٧
بسمارك ٢١٠
بلان ـ لوى ٢١١ ٢٧٠
بلومباخ ١٢٧
بليخانوف ٢٢٠
بوآز ـ فرانز ١٥٠
بورجوا ـ ليون ٢١١
بودن ـ جين ٣١ ١٦٥
بوسوية ٢٢٩
بوشر ـ كارل ٢٣٣
بولينفيير ١٣٢
بنثام ٩٢ ٢٠٧
بوكل (بكل) ـ هنرى توماس ١٦٦ـ١٧٤ ٢٦٢
بيركلى ٥٤

بيل ، جبرائيل ٢٨
بيكن ـ فرنسس ٣٠ ٧٤
٨٢
بين ـ توماس ١٩٩

تشايلد ـ كوردن ١٥٨ ١٨٥
تشامبرلن ـ أوستن ١٣٢ـ١٣٣
تراسيماخس ١٩٦

تندل ـ جون ٦٤
توبينار ـ بول ١٤٨
تورکو ٢٣٩
توکويفيل ٢٦٩
تونك شونك شو ١٩٥
تونيس ٣٦

ثوسيديت ١٦٤
ثيير ـ أودلفى ٢٦٩
ثييرى ـ أوغسطين ٢٦٩

جورج ـ هنرى ٢١٧
جيمس ـ وليم ٦٣ ١٨٧

دارون ٥٢ ٣٦ ٦٤ ٩٣
١٠٢ ١٧٣ ٢٨٢
داريوس ٢٦٣
ديدرو ٧٤ـ٧٥ ٨٢
درخايم ٣٩ ٤٣ ٢٧٠
دنيكار ١٣٨
ديكارت ٧٣ ٨٢
ديمقريطس ٧١ـ٧٤ ٨٢
ديولين ١٧٤
ديوى ـ جون ٢٦٣

راتزل ١٧٤ ـ ١٧٥
راتسهافر ٣٦
ربلى ١٥٤
رسكن ـ جون ٢٠٩
روبسبير ٢٧٦
رودبرتس ـ كارل ٢١٠
روسو ٣٠ ٩١ـ٩٢
روكارى ١٣٨
روكفلر ٣١٨
ريفرس ١١٢
ريكاردو ٢٠٥ـ٢٠٧ ٢١٣

زينوفانير ١٩

سبنسر ـ هربرت ٣٦ ٦٤
٩٢ ١٧٣
١٧٣ ١٨١ـ١٨٢
٢٤٠
سبينوزا ٨٥
سرجى ١٤٣
سسموندى ٢١٧
سقراط ٢٥ ٢٧ ٧٣
١٩٥ـ١٩٦ ٢٣٨
٢٨٠
سليكمان ١٥٢
سمث ـ آدم ١٩٨ ٢٠١
٢٠٤ ٢٠٦
٢٩٠
سمث ـ جورج اليوث ٢٤٦
سميل ٤١

obeikandi.com

سينيه ١٣٢
سيسولس ١٦٩
سيمون ـ سنت ٣٣ ٢١٧
سيي ـ جين ٢٠٥

شريدر ١٥٩
شمولر ٢٣٣
شيلر ١٥٤
شوبنهاور ١٠٣ ١٥٤

صولون ٢٨١

طاليس ٢٣٧

غوته ٨٥ ٨٧ ١٥٥
غاليلو ٢٨١

فرويد ١٠٣ ١٠٤
فريك ١٢٩
فيخته ٣٣
فورد ٣١٨
فيركانت ٤١
فورييه ٢١٧

كالتن ـ فرانسس ٣٨ ٢٣٢
كانت ـ عمانوئيل ٣٠ ٥٧ـ٥٨
١٥٤
كاوتسكي ٢٢٠
كد ـ بنيامين ٩٦ ٢٥٣ ٢٥٦
كرانت ـ ماديسن ١٢٨
كرايزانوفسكي ١٨٧
كرلايل ٢٠٩
كريكوري ـ السابع ٢٩
كروبوتكن ٣٦ ٢١٧
كروس ١٢٩
كرونوس ٢٨٠
كلاي ـ هنري ٢١٠
كمبلوتس ٢٧٠
كوبينو ١٣٢
كودون ـ وليم ٢٠٠ ٢١٧
كوندورسييه ٢٣٩
كونت ـ أوغست ٣٤ ٩٢
٢٤٠ ٢٦٢
كوندياك ٧٤ ٨٢
كونلووتز ٣٦
كنزبرك ٤٣ ٤٥ ١٠٥ـ١٠٦
١٢٠ ١٢٥ ١٣٦
١٥٦ـ١٥٧ ٢٢٧ـ٢٢٨
٢٣١
كيكر ٢٣٢
كيرنس ٢٠٥
كين ١٥٢

لابوج ٢٣٣
لاسال ـ فرديناند ٢١٠
لامتري ٧٤
لبنتز ١٥٤
لندمان ١٢٢
لوريا ـ أشيل ٢٢٠
لوك ـ جون ٣٠ ٧٥ ٨٢
٢٣٨
لي‌ليي ٩٤
ليكرغوس ٢٨١

oberkanal.com

مارتن ـ رودولف ١٤٦ ١٤٨
مادارياكا ١٥٣
ماركس ـ كارل ٣٤ ٦٢
٧٦ـ٧٩ ٢٠٧ ٢١٣
١٢٦ ٢١٨ ٢٤٩
٢٧٠
ماكولى ٢٦٩
مالينوفسكى ١١٣ ١١٦
مالثوس ٣٨ ٢٠٤
ماندل ١٢٨
مكايفر ٤٤ ٩٣ ١٢١ ٢٥٥ـ
٢٥٧ ٢٦٠ ٢٧٩ ٢٩٥
مل ـ جيمس ٢٠٥
مل ـ جون سيورد ٤٦ ٩٢
٢٠٥ ٢٠٧
٢٦٢
مور ـ توماس ٢١٢ ٢١٧
موتزه ١٩٤
موركان ـ لويس ٢٨٩
مونتسيكو ٣١ـ٣٢ ٨٢ ٩٥
١٦٥ ١٨٠ـ١٨١
مينيه ٢٣٩ ٢٦٩
نوفيكوف ٣٦ ٢٧٠
نيوتن ٢٨١
واكنر ١٧٤
والاس ـ ألفرد ٣٧
والاس ـ كرهام ٣٩
وب ـ سدنى ٢١٠
وسترمارك ١٠٢
ويبر ألفرد ٢٧٨
ويبر ـ ماكس ٤١
ويلز ١٥٧
هادون ١٣٨
هكسلى ٣٧ ٦٤ ١٣٨
هليفيتوس ٧٤ ٨٢ ١٨١
هملتن ١٢٤
هوبس ٢٩ ٣٠ ٧٤ ٧٥
٨٢ ٩٠ ٩٢ ٢٣٨
هوبسن ـ جون ٢٠٩
هوبهاوس ٣٩ ٤٣ ١٥٧
٢٦٢
هوريس ١٥٧
هولباخ ٧٤ ٨٢
هيراقليطس ٢٣٧
هيرودوت ١٦٤ ١٦٩ ٢٦٣
هيس ـ موزس ٢١٧
هيكل ـ فردريك ٣٣ـ٣٤
٦٠ـ٦٢ ٧٦ـ٧٧
٩٥ ٩٧ ٢٣٧
هيكل ـ ارنست ٦٣
هيوم ـ ديفد ٣١ ٥٨ـ٦٠
٢٣٩
هيونس ـ وليم ٢٢٠

obeikandl.com